المشرق

الدواعي لغنى اللغة العربية

لحضرة القس الفاضل ادي صليبا ابن هنا الكلداني

انَّ اغنى جميع لغات الدنيا المعروفة باتساع الفاظها اصلًا وفرعًا واشتقاقًا هي بلا مراء اللغة العربية حتى جاء في مثل انَّ العربيَّة لا يحكمها الَّا نبي. فاحببتُ ان انبِّه على شيء من الاسباب التي تجعل هذه اللغة الجليلة غنيَّة واسعة

١ انَّ اللغة العربية كانت قبل ان تُجمع وتدوَّن في بطون الاوراق متفرِّقة في اماكن مختلفة من البادية بحيث كانت قبل ان يُوشر في جمعها لغات عدَّة تختلف بعضها عن بعض اختلافًا اعظم ممَّا هو الواقع الآن بين لغات العراق وسوريَّة ومصر وبلاد العرب. فالذين كان المرجع اليهم في غريب اللغة وفي الاعراب والتصريف هم بنو قريش وقيس وتميم واسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين. واماً اللغة نفسها فيتبيَّن انَّها أُخذت عن ألسنة جميع القبائل. وممَّا يؤيِّد ذلك وجود اسماء كثيرة للشيء الواحد واللفظ المشترك وهو اللفظ الواحد الدالّ على معانٍ كثيرة عديدة مثل لفظ «الحال» الدالّ على ثلاثين معنى ولفظ «العجوز» الدالّ على اكثر من تسعين معنى وغير ذلك. والاضداد ان يطلق اللفظ الواحد على الشيء وعلى ضدِّه وذلك كلمتُ الشيء اذا كتبتهُ ولمتُهُ اذا محوتهُ. فالاول في لغة بني عقيل والثاني في لغة سائر قيس. فلا بُدَّ من انَّ السبب في وجود المشترك والاضداد ومئات من الاسماء للشيء الواحد هو تعدُّد القبائل اذ تكون هذه القبيلة وضعت هذا اللفظ لمعنًى وأُخرى لمعنًى آخر او تكون هذه سمَّت هذا الشيء باسم والاخرى سمَّتهُ باسم آخر. فاقول انَّهُ لمَّا يوشر في جمع اللغة العربيَّة دوَّن جامعوها كلّ ما كان تتلفَّظ بهِ كلّ قبيلة من قبائل العرب. وانَّما من ذلك حصل وجود مئات

من الاسماء في العربية للشيء الواحد. وهذا مما يجعل العربية واسعة البضاعة

٢ السبب الثاني الترخيم وهو إهمال القسم الاخير من الكلمة تفنُّناً في اللفظ. وامثال الترخيم كثيرة في العربية منها قولهم:

حسيَ في حسْ. وتمسَّى في تمسَّع. وقصى في قصَلَ. وفطِيَ في فطْ. وتقضَّى في تقضَّض. وتقَّى في تقبَّب. وقنا وقبيْ في قمْ وقد. ولَسَا في لسم. ومزَّى في مزَّن. وقطَّى في قطَّط. وتظنى في تظنَّن. والسادي في السادس. والخامي في الخامس. والرو في الروح. والدَّخ في الدُّخان. وشجا في شَجَب. ووصى في وصلَ. وشحا في شَحَر. والثما في الشمع. وصرا في صرخ. وخجيَ في خجلَ. وغير ذلك كثيراً جداً

٣ السبب الثالث القلب وهو عبارة عن تقديم او تأخير احد حروف اللفظ الواحد مع حفظ معناه ومن امثلته قولهم بمعنى واحد:

فنا وقنا. تكلَّى وتكأَّل. التخطَ واختلط. مدَقس ودمَقس. طمَس وطمس. لطمَ ولطَ. جبذَ وجنبَ. ذبحَ وبذحَ. برشَق وشبرق وشربق. بضعَ وعضبَ وبعضَ. قطَّب وقبَّط. بَحْتٌ وحَتْم. حثيف وحفث وفحث. شلط وطلش. تبرص وتبرعص. تحتحة وحتحتة. دحرجَ وجعدر. تحزحز وترحزح. حَزرَق وحرزق. عفلَط وعلفَط. بشغ وبغش. حمد ومدح. وهكذا في ما بقي من الالفاظ وهي كثيرة

٤ السبب الرابع الإبدال وهو أوسع دائرة من القلب والترخيم وهو عبارة عن إبدال حرف او اكثر من كلمة ما بحرف او اكثر يقرب منهُ لفظاً. منها قولهم:

تلَع وطلَع بمعنى واحد. سخَّر وصخَّر. ابتمرَّ وابتأرَّ وابذعرَّ. لمس ولمس ولسَ. غزرَ وغمزَ. تعمَّد وتعتَّد وتعقَّد. حظا وكظا وبظا. لزقَ ولسقَ ولصقَ. بَنْكٌ وبنجٌ ومنجٌ. بزق وبسقَ وبصقَ. بضَّح وبضَّب وبحنأ. طمْشٌ وطبْشٌ وطنْشٌ. قمّ وقذمَ وغثَمَ وغثمَ. كست وكسد وكسط وقسط. نقصَ وقزَ وقنشَ وقنسَ. حُسالة وحثالة وسحالة وحفالة. حُثْرب وحُثْمر وحِثلم وحِثلب وحُتفل. وحُثارة وحثارة الى غير ذلك مما يكاد لا يقع تحت الحصر

ومن اغرب الغرائب انَّ بعضاً من الالفاظ من كثرة ما حدث فيها الابدال صار فيها اكثر من مائة لغة. فمن ذلك قولهم بمعنى واحد:

الجَيْتر الجَيْدَر الجيدريّ الجيدران الجَمْدر الجَمْذري الجبطار الجنطار الجَمْنطَر الجَمْبَر الجمبري البُهتر البُحتر القبتر القُباتر الحبتر الزنبَر القنتَر القنّر النتر الحنتر الحنثر الحنثار الكمتر الكُباثر الحنتر الحنبر الحباتر الحَبَيْتر الحَنْبَل الحَنْدل الحنثل الحَنْثل الحُنْقُب الحتأ الحَنكل الحناكل الحناجل الحِنْتَفر الحِتْرَفر الحِنْفص الحِدر الحِسْفِل الحِلْبد الحِزْبل الحَوْزَل الحَزْوَكل الحبتل الحوتَل الزبتَل الزبَتَل الحباجل الحبانِل الحبَلْق الحَبكل الحَوكَل الحِبْتك الحُبانك الحِثْيل الرِدفل الرهدل القرتل الزغيل القندل الحَبْجَر الحُباجر الحُفْشل

الحُفَاثل الحَفَنْحل الحَفَّج الحَفَلَق الحَفَلَك الحَفَكي الحَبركي الحَبوكر الحَفَنْسأ – الحَدب الحَدَب الحَدَنب الحَانب الحَدَعدَل الحَنبر الحَنبرة الحَنب الحَنحاب الحَلَد الحَدُغ الحَنيط الحُنبط الحَنكب الحَنبع الحَنجور الحَنافر الحَنفير الحَفَندر الحَدَرَد الحَدَد المُدبق الحَدَولَق الحَدرجان الحَقطأن الحَقطأنة – الكَرتَم الكَردَم الكُردوم الكُلدوم الكُرادح الكُلكل الكُلاكل الكَرتَم الكهيل الكَسيْل السيْل الهَوزَب الهَمز النزل الى غير ذلك. فتأمل. (ان جميع هذه الالفاظ بحق التصير الضيف)

٥ ان الامر الباعث اكثر ما يكون الى اتساع اللغة العربية وغناها هو الالفاظ الاعجميَّة المشحونة بها العربية وهي كثيرة تكاد لا تعدّ. فان العرب بما انهم كانوا قبائل شتى كانوا يتماطون مع جميع الاقوام المجاورة لهم. فان لخماً وجذاماً كانوا مجاورين لاهل مصر والقبط. وقضاعة وغسّان واياد كانوا مختلطين مع الاراميين والعبرانيين. وتغلب واليمن كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان. وبكر للهند والحبشة. وعبد القيس وازد عمان كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس. واهل اليمن كانوا مختلطين مع الهند والحبشة. وسكّان صحاري الجزيرة والعراق كانوا مخالطين للكلدان والفرس وغيرهم لغيرهم (السيوطي في المزهر)

فأدخل اذاً العرب في لغتهم من لغات هذه الاقوام الفاظاً كثيرة لا تُحصى (ومن اغرب الامور انّهم ادخلوا حتى اداة النسبة الحبشيَّة والسريانيَّة مثل الكاف والياء والنون. واتخذوا بعض الاوزان السريانيَّة مثل فاعول وفَعلوت. قال في شفاء الغليل: «وهي (اي الكاف) ليست من حروف الزيادة ويقولون في هندي «هندكي» وفي قندي «قندكي» وتكلّمت به العرب وهو منقول من لسان الحبش. والحبشة تزيد في كل منسوب كافاً وياء قالهُ ابو حيان». اما نون النسبة السريانية فكثيرة الوجود في الالفاظ العربية من ذلك النحتاني والفوقاني والجدثاني والجماني والتختخاني. وكذا وزنا فاعول وفعلوت فكثيرا الورود في العربية. من ذلك: التاسوعاء والعاشوراء والجارود والجاروف والحابول والحاسوس والبربوت والحلبوب والرَّحموت والرهبوت. فلذلك نرى العربية مشوبة بالفاظ فارسية ويونانية ورومية ومصريَّة وحبشيَّة وهنديَّة وسريانية وعبرانية وغيرها. فالالفاظ السريانية المعرّبة هي وحدها فقط تبلغ مئات من الكلمات. كما بيَّن ذلك فرنكل العالم الجرماني في كتاب ألّفهُ في الالفاظ التي اتخذها العرب من السريان. هذا وان الالفاظ العبرانية المعرّبة ليست باقلّ منها. فانهُ ما عدا ان العرب كانوا مجاورين

لبني اسرائيل فاتخذوا منهم الفاظاً كثيرة لا بدَّ ايضاً من ان آل اسماعيل وبني مواب وبني عمون عند استعرابهم ادخلوا في العربية الفاظاً كثيرة من العبرانية

وكذلك استعار العرب من اللاتينية واليونانية كلمات كثيرة وهي اكثر مما يظنّ. فان كلمات كثيرة هي بالحقيقة يونانية او رومية قد فاتت الذين بحثوا عن باب الالفاظ الاعجمية الموجودة في اللغة العربية. واني كنت قد جمعتُ كثيراً منها غير اني لمَّا علمتُ انَّ الاب انسطاس الكرملي اللغوي البارع قد اخذ يجمعها عدلتُ عمَّا كنتُ نويتُ

وقل ذلك عن الالفاظ التي اتخذها العرب من اللغات المصرية والحبشية والهندية

لكن اللغة التي حازت قصب السبق في إعارتها اللغة العربية الفاظاً كثيرة هي الفارسية. لعمري ان العرب شحنوا لغتهم الجليلة بالفاظ يكاد لا يضمُّها حصر مأخوذة من اللسان الفارسي مصحَّفة اقبح التصحيف. نعم انَّ عدد ما نسبهُ علماء العرب من الالفاظ الى الاصل الفارسي يبلغ مئات من الكلمات. لكن فات هولاء العلماء كلمات كثيرة مشهورة هي بالحقيقة فارسية الاصل. واني قد جمعتُ نحو ستمائة كلمة لم يصرّح علماء اللغة بفارسيَّتها

فاقول: ان في العربية من الالفاظ السريانية والعبرانية ما يبلغ عددهُ اقلّها يكون مئات من الكلمات. والالفاظ الفارسية المعرَّبة اكثر عدداً. وكذلك الالفاظ اليونانية واللاتينيَّة والمصريَّة والحبشيَّة والهنديَّة المعرَّبة ليست باقل منها. واذا اضفت اليها ما يكرّر من الالفاظ المرخَّمة والمقلوبة والمُبدلة يبلغ عدد الالفاظ العربية المعرَّبة والمكرَّرة الوفاً من الكلمات

هذا وان العرب اشتقوا من الالفاظ الاعجمية افعالاً واسماء كثيرة وجعلوا فيها القلب والابدال. فاشتقوا مثلاً

من « المنجنيق » جنقَ وجنَّق ومنجق. ومن « الكوز » كازَ يكوز وتكوَّز واكتاز. وقالوا في « الفالوذ » فَلَذَ وفَلَّذ وافتلذ. وفي « الهنداز » هَنْدَسَ ومُندساً ومُهندساً ومُهندِزاً وهندازة وهِندساً وهَنْدَسَ. وفي « الجَزف » جزف وجازَف واجترف وجزافاً وجزَّافاً وجزوفاً ومجزفة. وفي « القَلَم » قَلَم قلَّم وقلامة. وفي « اليَشَب » يشفاً ويشماً ويصباً ويصفاً الى غير ذلك